أفكار متقاطعة

حماسة الروح المتألّقة والجنون الرائع 8

نستخدم الخيال لفهم العالم وفهم أنفسنا

■ جورج كعدي

عدم الرضى سمة بشريّة بامتياز وأطلق عليه أنطوني ستور في كتابه «ديناميّات الإبداع» صفة «السخط المقدّس». هذا السخط جعل الإنسان يتكيّف مع العالم من الناحية البيولوجيّة فاستخدم خياله لاستكشاف إمكانات جديدة. كلّ بشريّ يستخدم خياله على نحو ما، ولا أحد يكتفي بإشباع حاجاته الطبيعيّة، مثلما هي حال الحيوان المتكيّف مع بيئته. وخيال الإنسان هو من النوع الجامح الذي يلتهم الحياة بلا توقّف، ولا يهدّئه سوى الانشغال بعمل ما. ويستخدم البشر خيالهم في اتجاهين، الأول بحسب فرويد هو الهرب من قسوة الوجود الفعليّ إلى أحلام اليقظة التي تتحقّق فيها الرغبة. والثاني هو استخدام الخيال بطريقة أفضل لفهم العالم وفهم أنفسنا، أو إبداع أعمال ترمز عن طريق التأليف بين الأضداد لتركيبات جديدة داخل الشخصيّة.

النفس البشريّة منقسمة على ذاتها بدرجات متفاوتة، وجميعنا مدفوعون إلى البحث عن وحدة لا نحقّقها البتّة، والوسيلة الأولى والأوضح التي يمكن اللجوء إليها لتحقيق هذه الوحدة إنّما هي: الحبّ. يعزو أفلاطون في «المأدبة» إلى أريستوفان الكلام الذي يفترض فيه أنّ البشر كانوا في الأصل وحدات مكوّنة من ثلاثة أجناس هي الذكور والإناث والمخنّثون، وبسبب غطرستهم شطرهم زيوس إثنين، لذا كان البشر جميعاً مرغمين على البحث عن نصفهم المفقود لاسترداد وحدتهم الأصليّة، ولذلك كان الحبّ هو «الرغبة والسعي نحو الوحدة الكاملة».

بيد أن الرغبة والسعي نحو الوحدة (وحدة هذا الكائن المنشطر) يمكن البحث عنهما بطرائق أخرى غير طريقة الوحدة الجسديّة مع المحبوب. وتقوم فكرة يونغ حول التفرّد على البحث عن الوحدة داخل نفس الفرد، أي المصالحة بين الضدّين، الوعي واللاوعي. وتتميّز عمليّة الإبداع في الفنون والعلوم غالباً بالبحث عن تأليف جديد بين الأفكار التي كانت تبدو ماضياً مختلفة أو منفصلة إلى حدّ بعيد. فالهدف المشترك للعلوم والفنون هو البحث عن النظام في التعقيد، والوحدة في التنوّع. عندما يحلّ الرسّام أو الموسيقيّ مشكلة جماليّة، فإنّ كلاً منهما يشارك في البهجة نفسها التي توصف بتجربة أرخميدس الذي خرج من حمّامه عارياً وصائحاً «وجدتها» (إذ اكتشف طريقة يحدّد بها نقاء الذهب في تاج ملك سيراقوزه عبر تطبيق مبدأ الثقل النوعيّ) ويستمتع العلماء بهذه «الصرخة» لدى توصّلهم إلى اكتشاف جديد.

يبدو معقولاً افتراض أنّ الذين تدفعهم الرغبة القويّة في بحثهم عن الوحدة والنظام، سواء في الفنون أو في العلوم، هم أنفسهم معرّضون للانقسام على أنفسهم. والفكرة هذه قد تؤدّي إلى حسم السجال الدائر حول العلاقة بين العبقريّة والأمراض العقليّة. فالعباقرة، رجالاً ونساءً، غالباً ما يقعون تحت تأثير صراعات تدور حول ذواتهم وتفضي بهم إلى الإحساس بالتعاسة والقلق وعدم الرضى، إلا أنّها تمنحهم في الوقت نفسه قدرة على التخيّل والتساؤل واللهفة على اختبار مباهج الوحدة والتركيب، وطالما هم قادرون على متابعة البحث والدأب على عملهم فإنّهم غالباً ما يحمون أنفسهم من مختلف أشكال الانهيار العقليّ. أمّا إذا خذلتهم قدرتهم على العمل أو رفض عملهم وكانوا مفرطي الحساسية بسبب هذا الرفض، فقد يؤدّي ذلك إلى الاكتئاب أو إلى شكل آخر من أشكال الأمراض العقليّة.

أحد أسباب ارتباط العبقريّة بالجنون يعود إلى العصور القديمة ويقوم على الخلط بين الجنون والإلهام. ألا يقول الفيلسوف الروماني المشهور لوسيوس سينيك (القرن الرابع قبل الميلاد) في حواريّته عن «سكينة النفس»: «لا توجد البتّة موهبة Ingenium عظيمة بلا مسّ من جنون dementia». ويرى البعض أن لكلمة dementia هنا معنى الإلهام الدينيّ، أو «الجنون المقدّس» الذي وصفه أفلاطون وكان ثمّة تمييز جليّ بينه وبين الجنون «العاديّ»... (يتبع)

«الربيع العربيّ» قضى على الأغنية العربيّة

■ هنادي عيسى

استطاع ما سمّي بـ«الربيع العربي» خلال السنين الأربع الماضية أن يؤثر سلباً في الفن الغنائي في العالم العربي، فمثلما قضى على الحجر والبشر في معظم الدول العربية دمر الإبداع بشكل ملحوظ. لا شك في أنّ المزاج العام للناس سيّئ، والاكتئاب يسيطر على الجميع بسبب مشاهد القتل والذبح التي يتابعونها باستمرار على الشاشة. لكن ثمة ضعف كذلك لدى صناع الأغنية عامة سواء الملحنين والشعراء أو الموزعين الموسيقيين. يبدو أن الإبداع لدى معظم هؤلاء اضمحل، وباتت أعمالهم متشابهة وأحياناً كثيرة دون المستوى. ولو عدنا الى الوراء قليلاً، أي الى بداية الألفية الثالثة فإننا نستطيع أن نلتمس سبب تدهور الأغنية العربية عامة واللبنانية خاصة، رغم أن ثمة ثلاثة نجمات ظهرن على الساحة اللبنانية بقوة وفرضن نجاحهن على الجميع وهن نانسي عجرم وإليسا وهيفاء وهبي، وفي مصر برزت شيرين عبد الوهاب وفي الخليج حسين الجسمي. نجاح هولاء الخمسة أخاف أسماء كبيرة كانوا نجوم الثمانينات والتسعينات، مثل راغب علامة ونجوى كرم وأنغام وعبد الله الرويشد ونوال الزغبي وعاصي الحلاني وعمرو دياب وآخرين. إلا أن نجاح ظاهرة الجميلة هيفاء وهبي التي لا تملك أياً من مقوّمات الغناء السليم شكّل حافزاً لكلّ من هبّ ودبّ كي يدخل مجال الغناء، فلم تبق جميلة في مصر ولبنان إلا جرّبت حظها في تقديم أغنية أو اثنتين بمضمون مسف، وأبرزهنّ دانا وماريا وبوسي سمير ودومنيك حوراني، فضلاً عن جاد شويري وأخريات وآخرين. ذلك كله حصل ويا للأسف بتشجيع من شركات الإنتاج مثل «ميلودي» و«مزيكا» و«روتانا» إذ استسهلت إداراتها جني المال عبر بث كليبات هؤلاء على شاشتها، رغم انحطاط المضمون. غير أن تلك الظواهر ومع بداية ما سمي بـ«الربيع العربي» تلاشت، ومعها فقدت شركات الإنتاج قدرتها على تقديم أعمال جيدة، وزاد الطين بلة تدهور سوق الغناء والقرصنة، وبات متعذراً على أي منتج استرداد أمواله، فما أن يُطرح ألبوم جديد في الأسواق يسارع معجبو الفنان إلى إنزاله على مواقع الإنترنت من دون أي حقوق، ما تسبّب بإقفال «ميلودي» وامتناع «مزيكا» عن الانتاج وإصابة «روتانا» بنكسة، حتى أنّ هذه الأخيرة أبلغت جميع المغنين المتعاقدين معها عدم قدرتها على إنتاج ألبومات غنائية كاملة، مكتفية بإصدار أغانٍ منفردة وتصويرها فحسب، ومن شاء تقديم عمل كاملٍ فإن عليه أن يفعل من حسابه الخاص وتتكفل الشركة بالتوزيع والإعلانات. أصيب المغنون المتعاقدون معها بصدمة، فمعظمهم يرفض دفع الأموال التي كسبها من حفلاته على ألبوماته، أو هم مرغمون على إصدار أغانٍ منفردة لا تنال إعجاب الجميع.

منذ اربعِ سنين لم نسمع أغنية ذات قيمة، بل مجرد أغانٍ إيقاعية فرضها نجاح ظاهرة علي الديك وشقيقه حسّين الديك، أما الأعمال الرومانسية التي أنجزتها كل من إليسا ووائل كفوري فلاقت الاستحسان، لكنها لم تكن قنبلة الموسم. بات المغني يعتمد على إثبات نجاح أغنيته عبر نسبة مشاهدتها على «يوتيوب». وأضحى معلوماً أن في إمكان أي مغنٍ اللجوء الى شركة متخصصة تساعده في شراء هذه المشاهدات بمبالغ مقبولة، وبذلك يكون نجاحه وهمياً.

الساحة الغنائية العربية مليئة بالأصوات الجميلة، لكنها تحتاج الى مبدعين لتقديم الأعمال المميزة، فهل نشهد نهضة كهذه قريباً أم أن الأوضاع الأمنية والسياسية في العالم العربي لا تسمح اليوم بذلك؟

سيرة فيرجينيا وولف في «الحياة بالكتابة»

قبل أن تغرق فيرجينيا وولف نفسها في مياه نهر أوز الباردة عام 41 19 كانت نشرت روايتها الأولى التي انتهت فيها حياة بطلتها قبل الأوان، بينما كانت تتقدم في مستقبلها الأدبي المجدد والمؤثر.

روايتها الأولى صدرت في 26 آذار 1915 تحت عنوان «نهاية الرحلة». وبدأ العداد يدور إلى الخلف، ليس فحسب عند حكاية قصة الشابة ريتشل فينريث التي كانت تنتقد عالم تلك الفترة من خلالها وتكسر جداول السرد الثابتة، بل أيضاً لما يحويه الكتاب من إشارة حياتها الخاصة ومفهومها عن نفسها وساعاتها الأخيرة.

تفترض «نهاية الرحلة» الجانب السيري والأدبي لفيرجينيا وولف (1882–1941) وتعكس الخطوط الممتدة بين تلك الرواية والأيام الأخيرة للكاتبة. الحدثان يقعان تقريباً في بداية الحرب العالمية الأولى والثانية، وكلاهما ناتج من ذهان أصاب الراوية وكاتبة المقال. تريد البطلة أن تقطع صلتها بالإرث الفيكتوري وتطالب بحقوق المرأة، بينما في الحياة الواقعية تواجه وولف، في سن التاسعة والخمسين، وبشهرة كبيرة، عالم ثابت اليقين. في هذه الحكاية تظهر في الرواية السيدة دالواي، إحدى علامات هوية الكاتبة الإنكليزية، وتعبر عن الحب بكونه اكتشافاً، وتحاول أن تعكس «إيمانات» فيرجينيا وولف.

ستة وعشرون عاماً تفصل الحدثين، حدث ظهور الرواية وحدث الموت، وبينهما برق يضيء. هذا البرق تحاول الكاتبة إيريني شيكيار رصده في كتابها «الحياة بالكتابة»، وهو الكتاب الأول الذي يتناول سيرة وولف التي تعتبر واحدة من أكثر الرّوائيات الروائيين المؤثرين في القرن العشرين والتي طمحت إلى أن تكون صوتاً للصوت.

تعيد الكاتبة الأرجنتينية أعادت بناء حياة وولف بين الواقع والخيال، والحياة والكتب، بناءً على مراسلات ويوميات شخصية ومقالات ومذكرات. وأهمية الكتاب صدوره أيضاً وسط الاحتفال بمئوية كتاب وولف الأول، الذي صدر عام 1915، وبدأت كتابته عام 1907 وأرسلته إلى دار النشر عام 1913. فيه بحثت وولف عن طرائق تجريبية غير مطروقة في معالجة الحبكة والشخصيات، لتخرج بذلك من القوالب المحفوظة. ويمكن القول إن «نهاية الرحلة» يعكس هموم وولف خلال المراهقة وبداية الشباب، كما يعكس رؤيتها لتعقيدات العلاقة بين الرجال والنساء والتجاهل الجنسي. كما تشير بقوة إلى علاقتها المعقدة بأمها.

«آراء في المواقف والحياة» كتاباً لريمه الخاني

المرأة والتربية وتشويه عقول الشبّان... هواجس فكر ومجتمع

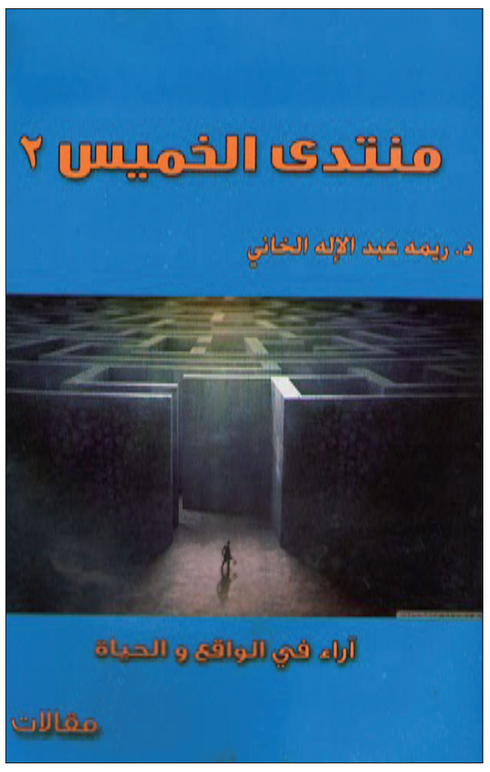

يجمع كتاب «آراء في المواقف والحياة» مقالات وآراء تتناول الحياة الاجتماعية لإنسان عصرنا الراهن، بقلم ريمه عبد الإله الخاني، وفيه رؤى وأفكار متوافقة ومتباينة تقدمها الكاتبة بأسلوب بسيط يرقى إلى مستوى فن الخاطرة، محاولة الوصول بالأفكار إلى فئات ثقافية متنوعة.

ترى الكاتبة في مقال «الحياة إمرأة ورجل» أن المرأة أمانة غالية في عنق المجتمع إذ تؤدي واجبا كبيراً، فحين تقوم بواجبها على أكمل وجه يحق لها أن تطلب حقوقها على نحو كامل، وبالتالي فإنّ المرأة والرجل مخلوقان متكاملان. وتعتقد أن البشر باتوا موضوع تجارب الشركات الدوائية والأطباء ناقصي الخبرة وعديمي الأمانة العلمية والإنسانية، وأن الطب البديل أو العودة إلى التداوي بالأعشاب يعرض حياة البشر لأخطار أشد فتكاً، إلا أن ذلك لا يعني أن «اللوثة» طالت الجميع فثمة من يؤدي عمله بإتقان وإخلاص ويحترم أخلاقيات المهنة وسلوكياتها.

في مقالها «الفتنة» تسقط الكاتبة قصة قابيل وهابيل بكونها أول جريمة ارتكبت على الأرض وعالجت من خلالها الحالات الاجتماعية المتخلّفة المؤدية إلى القتل والتي تنتهي بزهق أرواح البشر، مستنكرة الجريمة أيا يكن نوعها وفي أي مكان تقع.

كما تشير الخاني في مقالها «رفقا بالقوارير» إلى خطورة استغلال المرأة ومحاولة الإيقاع بها في أي مستنقع يؤدي إلى ضياعها، فضياع المرأة قد يكون سبباً كبيراً في بانهيار المجتمع وتفكك علاقاته الاجتماعية محذرة من أي خلل لا تحسب نتائجه حيال المرأة، فضلاً عن أن المرأة هي ركن ضروري في إرساء قواعد التربية الاجتماعية الصحيحة التي تؤدي إلى بناء مجتمع قوي سليم.

تسلط الخاني الضوء على خطورة الفراغ الذي يعيشه الشبّان والنتائج السلبية التي يمكن أن يصل إليها شبّاننا من جراء حالات الفراغ التي يملأونها بما لا نفع لهم فيه، لافتة إلى أهمية عدم توفير فرصة تخل بالقيم والأخلاق وتلحق ضرراً بهؤلاء الشبّان، مؤكدة على ضرورة الانتباه إلى الطالب المدرسي والجامعي وتوفير طرائق تربوية وأدوات تدريسية تسهل العملية التربوية وتنقل المادة العلمية بمهارة عالية، مع إعادة النظر في المناهج الدراسية وتلافي التعقيدات وصوغ سياسة جديدة في القبول الجامعي، بما يتلاءم ورغبات الطلاب ليتمكنوا من الإبداع في تخصصاتهم.

تتطرّق الخاني إلى خطورة استخدام أميركا البرمجة اللغوية العصبية في تشويه عقل الشباب العربي من خلال استخدام تقنياتها الواسعة في إعادة برمجة العقول وتحريكها على النحو الملائم لمنظومتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فضلاً عن التشويه الإعلامي والثقافي المنتشر من دون أن يتمكن المثقف من ضبط نتائجه السلبية على المجتمع.

يغلب على الكتاب أسلوب المقالة والخاطرة، من غير الالتزام بهما، إذ شاءت الكاتبة تقديم حالات ثقافية متزامنة مع انتشار الشبكة الإلكترونية، لذا اضطرت إلى التخلي أحيانا عن بعض الأسس والمقومات التي تدعم المقالة، بيد أنها عرضت رؤى اجتماعية ضرورية جداً لمواكبة الحوادث وتطوراتها وانعكاساتها على أجيالنا.

وليد تليلي: الشعر بديل جماليّ ينتصر للحقّ والإنسان والحياة

كتب محمد ناصر المولهي: تحتاج الكتابة إلى روح شابة مكتشفة ومندفعة، مثل ريح لا هرم فيها أو سكينة، وسط الحشود، فوق الخراب، وبين مفاصل الربيع، تنهل طاقتها من جماليات أخرى تتوغل حتى في أبسط التفاصيل؛ في أجملها وأبشعها، ولعل ذلك جلي في كتابات الشعراء الشبان في تونس، الذين كتبوا ما كانت تحلم به أجيال سابقة مثل الطلائعيين والتسعينيين.

وليد تليلي أحد هؤلاء الشعراء الشبان، الذين حاربتهم المنظومة الثقافية القديمة المتكلسة وحاولت كتم أصواتهم، لكنه ظل مؤمنا بنصه، متشبثاً به رغم تضييقات النشر وغير ذلك من ممارسات جنرالات الثقافة.

«ليس سهلاً في الحقيقة أن نمسك بلحظة دخولنا عالم الكتابة»، بحسب الشاعر وليد تليلي في عملية الولوج إلى الكتابة والنص، مضيفاً: «الأمر كله يشبه دخول جنديّ في حرب مجهولة، حين يجد نفسه مجبراً على الدفاع عن نفسه. أنا أيضا أكتب كي أدافع عن نفسي. ما أذكره الآن أنني ولدت في بيت حزين، ليس فيه جهاز تلفزيون أو راديو، ذلك أنّ العائلة كانت تقيم الحداد في ذلك الوقت على أشقائي الذين ماتوا قبل ولادتي. تلك العزلة دفعتني إلى البحث عن أصدقاء في الكتب المدرسيّة القليلة التي وجدتها في منزلنا، ثمّ إلى إيجادهم عبر الكتابة في ما بعد، كنت أترك رسائل على جذوع الأشجار، وعلى تراب الطرقات الريفيّة، وعلى حائط منزلنا وعلى كلّ شيء، وكنت أتخيّل أطفالاً وسيمين يأتون كلّ يوم أحد لأخذ رسائلي، بل إنّني كنت أتخيّل أنّهم يتركون لي رسائل أيضاً، وكنت أقرأها بصوت عال. أنا الآن أقترب من الثلاثين، بات لي أصدقاء كثيرون، وتلفزيون خاصّ بي وكتب وأوراق وأقلام كثيرة، لكنّني ما زلت مجبرا على العودة إلى ذاك الطفل، لأبحث عن قليل من العزلة وأحاول من خلاله الكتابة».

كثيراً ما يتحدث النقاد والكتاب أيضاً عن مشروع الكتابة والتراكم، وأن النص مدعاة للاشتغال الدائم حتى يكتب، لكن ماذا عن الكتابة المكتفية بذاتها، والتي تأتي دفعة واحدة، مثل الهايكو؟ يؤكد تليلي أنه لا يفكّر في الأمر قائلا: «كل مرّة أكتب نصّاً أعتقد أنه الأخير. لا أعرف إلى الآن كيف تتسلّل هذه الفكرة السوداء إلى رأسي، أو كيف أتجاوزها لاحقا. أحسّ دائماً بعد الانتهاء من الكتابة بأنّني أعود مفرغاً من كلّ شيء، مثل قوقعة جوفاء، إلى حدّ أنّني أصير عاجزاً حتّى عن كتابة إرساليّة قصيرة على هاتفي، أو عن صوغ تغريدة على صفحتي في «فيسبوك». إنها أوقات صعبة يمرّ بها كل شاعر على ما أظنّ، لكن في لحظة أخال أنّني اعتدت الأمر تلمع لؤلؤة نصّ جديد فأكتبه... وهكذا. أحيانا أقف لأنظر خلفي فأرى خطّ نصوصي يمتدّ متموّجاً مثل مسار رحلة بحريّة على خريطة في يد قرصان مغامر. لا أخفيك أن يشعرني ذلك ببعض السعادة، لأنّني لا أحبّ الخطوط المستقيمة التي تذهب إلى الهدف مباشرة مثل رصاصة. تلك المشاريع تقتل أصحابها في نهاية الأمر دائماً».

الشاعر وليد تليلي من قلة تقيم داخل نصوصها على نحو لافت، حيث القرية والمدينة، وحيث الحب والحيرة، وحيث البسطاء ببشرتهم السمراء، وحيث عوالم رطبة تتنفس من النصوص هواءها وتشمّ تربتها. يحاول الشاعر أن يكون صادقاً حين يكتب، لكنه يؤكد أنه يفشل دوماً عندما يكون خارج النص، لذا يفضّل أن يكتب كذبه اليوميّ بصدق، على أن يكون كذّاباً تتعرّى حقيقته في كلّ نص. لكنه لا يخفي قلقه العميق من اعتبار الشعر نخبويّا وحكراً على مجموعة من البشر دون سواهم، أو أن يتمّ تقسيمه إلى حركات وأشكال ومجموعات. لكن الشاعر يعتقد من ناحية أخرى أنّ من المهمّ بالنسبة إلى شاعر أن يلمّ بتاريخ الأدب وجماليّات اللغة وتقنياتها. وما إلى ذلك، لكنّ ذلك ليس الأهمّ عنده، فالشعر في رأيه هو في المقام الأول نضال دائم ضدّ الموت وضدّ السّلطة أينما كانت، من أجل بديل جماليّ ينتصر للحقّ والإنسان والحياة. النص حركة دائمة تستمدّ وقودها من مناهل مختلفة ومتنوعة تنوّع ذوات الكتاب وبيئاتهم». يعتبر وليد تليلي نفسه من الشعراء الذين يسعون إلى إقامة العدل داخل نصوصهم أوّلا، لذا لا يبتعد كثيراً لأجل البحث عن نصّه، ولا يتكبّر على العناصر المحيطة به مهما كانت صغيرة. يتعامل معها بالقدر نفسه من الحبّ ويقول مؤكداً: «عامة، أكتب مثل مخترع مجنون، أستمتع بالنفخ في أشيائي الصغيرة من خلال قصبة قلمي، وأنتظر ما سيحدث. لا أخجل من الاعتراف بأنّ الأمر لا ينجح معظم الأحيان، لكنني مستعدّ لتكرار المحاولة باستمرار، على أن أكتب نصوصاً مشوّهة».

تسمية الشعراء الشبّان في العالم العربي، وفي تونس خاصة، تحمل دلالات مبطنة لدونية ما، علماً أن النص نص، سواء كتبه شاب أو كهل او شيخ، فرهانه في النهاية جدّته وجودته بعيداً عمّا تستبطنه التسمية، يواجه الشعراء الشبّان اليوم مشاكل وعوائق عديدة يعتبرها وليد تليلي متماهية، بل هي نفسها مشاكل الشبّان التونسيّ عامة، مثل البطالة وانعدام الفرص والإقصاء القسريّ الذي تمارسه مؤسسات الثقافة الرّسمية بمختلف دوائرها البيروقراطيّة المقيتة، ويمارسه مثقفوها الانتهازيون، فضلاً عن دور الثقافة المشبوهة. هذه الممارسات يلفت الشاعر إلى أنها في خارج النص أو داخله، لذا يدعو جميع أصدقائه الشعراء أوّلا إلى تجنّب اليأس، فذاك ما تراهن عليه المنظومات الهرمة اليوم، ثمّ إلى إعلان ثورتهم من داخل نصوصهم، وذلك بتفجير جميع الأصنام الشكليّة للكتابة وإقامة أشكال جماليّة جديدة متجاوزة للسائد.

حول رؤيته لواقع الشعر اليوم في ظل تناقص قرائه وتحوّله إلى بضاعة كاسدة، يقول وليد تليلي: « بقي الشعر طوال عصور طويلة وسيبقى دوماً لأنّ الإنسان في حاجة إليه. أنا متأكّد من أن القرّاء يبحثون عن القصائد الجميلة في كلّ مكان لكنهم لا يعثرون عليها. لن أتحدّث هنا عن الدّور المشوّه الذي تلعبه المؤسّسات الثقافيّة في التعتيم على التجارب الإبداعيّة الجديدة، بل سأتحدّث عن الشعراء الشبّان الذي يكتبون نصوصا رائعة. أعتقد أنّهم مطالبون بالخروج أكثر إلى الضوء، وبالبحث عن وسائط جديدة لتقديم كتاباتهم إلى العالم. قد يفي التطوّر الرقميّ بذلك لو أحسنوا استغلاله».

ربما نجحت قصيدة النثر في تهشيم الأصنام الشكليّة للكتابة وإقامة أشكال جماليّة متجاوزة ومفتوحة. تلك القصيدة التي يرى وليد تليلي أنها تراهن على أن يقرأها ويفهمها ويحبّها الجميع، من دون أن يشار إليها على أنّها قصيدة نثر أو قصيدة شاعر شابّ.

ويختم قائلاً: «ثمّة ديناميّة حقيقيّة يشهدها الشعر التونسيّ في السنين الأخيرة، يقودها جيل مميز من الشعراء الباحثين عن شعريّة مغايرة ونصوص متفرّدة. كلّ ما علينا الآن هو التمتّع بالإثارة وانتظار ما ستؤول إليه الأمور. أنا متفائل جدّاً بمستقبل الشعر في تونس وفي العالم، هذا الموت، ورغم التوحّش الذي بات يعيش معنا الآن مثل حيوان أليف، بل إنّني على يقين من أنّ الشعر هو الذي سينقذ العالم».

اليوم العالميّ للبلاستيك

■ جورج كرم*

«اللبنانياذا»، على وزن الإلياذة، أو عظمة لبنان بالنسبة إلى محيطه، بدعة غير موجودة إلاّ في عقول بعض «الشوفينيين» اللبنانيين من الكتّاب مثل مي المر وسعيد عقل، الذين تحتل أسماؤهم وكتاباتهم الموقع الرسمي الإلكتروني لـ«اللبنانيين المقيمين في «إسرائيل»(...)» ولا عجب في ذلك. زد على الطين بلّة «الأسطورة اللبنانية» التي تربينا في المدارس والبيوت أيضاً في معظم الأحيان على فصولها في كتب التاريخ، وفي كتب الجغرافيا في ما يتعلق بموضوع المياه، ومنها أن «لبنان» بلد غني بمياهه، والأصح القول إن لبنان يعتبر من «البلدان» الوحيدة بين جيرانه الذي لا يعاني نقصاً في موازنة المياه. وهذا العرش الوهمي الذي «يعنطز» عليه «لبنان» سوف يزول بعد عشر سنين أو أكثر قليلاً، بحسب دراسات قامت بها شركات خاصة، نتيجة ازدياد عدد السكان، لينضم «لبنان» بذلك إلى قافلة الدول المتصارعة على هذا المورد الحيوي والاستراتيجي في المنطقة. والواقع أن «لبنان بلد الماء»، مثلما أفهمونا، لا مياه شفة فيه توفرها الدولة لنا، والمقيم في الخارج، الغرب خاصة، يعرف تماماً أن الناس هناك يعتمدون على أيّ مياه تخرج من الصنبور أو «الحنفية» كمصدر أساسي لمياه الشفة، ولا تتوافر لدى سكان الدول المتطورة في معظم الأحوال مياه للاستعمال وأخرى للشرب كما اعتدنا نحن في بلادنا، مع الإشارة إلى أن أسواق البلاد المتطورة لا تخلو من وجود قناني مياه معدنية وما إلى ذلك لمن أراد إنفاق ماله كي يتمتع بمنظر قنينة مياه ما غريبة الشكل تشبه عادم السيارة (الأشكمان) مثلاً وغيرها من أشكال وغرائب وألوان على مائدة الطعام في منزله.

في بلادنا اعتاد الناس شرب الماء حصرياً من القناني البلاستيكية من إنتاج الشركات الخاصة، وما أدراك ما في داخل القناني البلاستيكية تلك؟ خاصة من المواد المسرطنة التي تدخل المياه المعبّأة من البلاستيك نفسه حين تتعرض لعوامل الحرارة الخارجية وأشعة الشمس. إنّه زمن «وزير المراقبة الصحية والرقابة» النشيط، ورغم أن الطلّة تنقصه، يطلّ علينا يومياً بصور ومشاهد متلفزة لأكل معفن وديدان وغيرها في مصانع حلويات وهررة وجرذان في مزارع دجاج ومستودعات لحوم، وعلينا أن نشاهد هذه الصور المقززة على التلفزيون بالتزامن مع تناولنا طعام العشاء والغداء! كأن الوزير المذكور أول من أقفل مؤسسة لعدم احترامها المعايير الصحية في العالم كلّه، علماً أن المؤسسات تقفل في الغرب من قبل أجهزة الرقابة الصحية بلا هرج ومرج إعلامي، ولم نسمع شيئاً من الوزير المذكور عن قناني المياه وما في داخلها وما يطابق المعايير الصحية وما يخالفها، خاصة مادة BPA المسرطنة الموجودة في البلاستيك عادة. من البديهي أن تكون مياه الشرب أول ما يتطرق إليه الوزير بين المواد الغذائية، هذا إن لم تكن هناك قطبة مخفية تمنعه من ذلك في بلاد القطب المخفية، وخاصة في زمن اعتاد فيه المستهلك أن يثق بالسلعة تبعاً لروعة الصورة الدعائية الملصقة عليها، أو الإسم الخلاب أو الـ«Cool» الذي أضفاه معبّئها. و«الكنيسة القريبة لا تشفي»، على ما يقول المثل، كذلك بالمياه الآتية في قناني تحمل صور ثلوج جبال الألب الفرنسية أو التي أضيف على ملصقها الخلفي شرح طويل مسهب عن طبقة المياه الجوفية «اللذيذة» حيث تعبأ في جزيرة فيدجي، وعرف لاحقاً، رغم شاعرية النص، أنها تحتوي على نسبة قليلة من مادة الزرنيخ السامة وإن بكميات غير مؤذية! في حين أن مياه الشفة الموزعة مجاناً في بعض مدن الولايات المتحدة مثلاً تخلو من ذلك تماماً، وسكان جزيرة فيدجي مثل سكان «لبنان الأخضر» لا يسعهم الوصول إلى مياه الشفة من الحنفية معظم الأحيان، رغم أنهم يصدّرون الماء للعالم كله في قناني! وماذا لو علم سكان «لبنان» أنهم هم الأضحوكة وليسوا أبناء «اللبنانياذا» كما أرادونا أن نصدق في دولة الجنرال غورو. والحديث الظريف بين صديقين لي في كندا يعبر أفضل تعبير عن ذلك. كان صديق لي ناصع القلب يتأفف ويشكو أمره يوماً ويقول إنه لا يدري لِمَ ترفض زوجته الكندية الأصل والمنشأ مرافقته لزيارة البلاد صيفاً فأجابه الصديق الآخر: «ولِمَ العجب واللوم، القوم في كندا لو شربوا يوماً من باب الخطأ من حنفياتنا يقعون جثة هامدة ورأسهم في «المجلى» حالما يفرغون من إفراغ مياهنا الجوفية من جوفهم؟». الخبث والمبالغة في الإجابة ضروريان لإيصال الفكرة بالدرجة المطلوبة من الظرف. وصديق آخر زار ألمانيا حديثاً أيضاً لا تخلو مأساته الصغيرة من الفكاهة «السوداء»، فصاحبنا شعر بالعطش في ألمانيا وطلب ماء في الفندق فأتوا إليه بزجاجة مياه غازية شائعة في تلك البلاد ومفضلة لدى سكانها، ولم يستسغها صديقنا البتة لسوء حظه وأخذ يبحث عن مياه يسميها هو «طبيعية» ويقصد بذلك غير غازية، علماً أن معظم المياه الغازية في ألمانيا طبيعية ولم اللوم؟ والمثل يقول «كل على ذوقك والبس على ذوق الناس» وفات صائغي المثل إضافة كلمة «إشرب» إلى المثل في زمن كانت فيه المياه كلها نظيفة وصالحة للشرب. أخذ صاحبنا على عاتقه خطوة إنسانية عابرة للحدود للبحث عن الماء «الطبيعي» وهو لا يجيد اللغة، ووجد نفسه يصرف اليورو تلو اليورو في تاكسيات ميونيخ بحثاً عن زجاجة ماء يروي بها عطشه، بلغة «الإيماء والإشارة» يهتدي إلى الزجاجة تلو الزجاجة من المياه الغازية فحسب على اختلاف ألوانها، حتى وصل الفندق منهكاً عطشاً وهاتف قريباً له في بلاد الألمان طالباً العون فأرشده الأخير بعدما آلمته خاصرته من القهقهة إلى أقرب حنفية في غرفة الفندق ليملأ فيها كوبه وعلى حساب الفندق! أنا أيضاً عطشت في زيارة أو اثنتين إلى الوطن نسي خلالهما الأهل تخزين مياه البلاستيك في منزلي، ورحت أتأمل مياه «السيفون» بفم متصحّر عطشاً وبحنان تلك الليلة، ولم أجرؤ على الشرب فاستعضت عن المياه بالبيرة التي رفض البراد أن يتخلّى عنها بين زيارة وأخرى، ما زاد من ظمأي.

مع الشكر الجزيل للوزير النجيب على إقفال محلات للشاورما والكبة النية الفاسدة واستيراد شحنة جديدة من الشمع الأحمر أسبوعياً، حتى كاد ثمنه يرتفع عالمياً لازدياد الطلب عليه. وأرجو من الوزير في اليوم العالمي للمياه، أو بنسخته اللبنانية «اليوم العالمي للبلاستيك»، أن يكف عن هذه العراضة الإعلامية ويعمل صامتاً لتزويدنا ماء الحياة في بلاد المجارير الجارية.

* أبو أليسار، كاتب سوري من جبل لبنان، موقعه على الإنترنت www.gkaram.com